

جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام



كشف المحجوب للهجويري

دراسة وترجمة وتعليق
دكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل

راجع الترجمة:
دكتور أمين عبد المجيد بدوي



يشرف على إصدارها:
محمد توفيق عويضة



الكتاب التسعون

جمادى الأولى ١٣٩٤
يونية ١٩٧٤

فهرس موضوعات القسم الثانى

(ترجمة كتاب كشف المحجوب)

الباب الثالث

باب التصوف

قال الله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »(١) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين(٢) » .

وقد تكلم الناس فى تحقيق هذا الاسم كثيرا ، والفوا كتبا فى ذلك . وقالت جماعة ان الصوفى يسمى بالصوفى لانه يلبس ثياب الصوف ، وقالت جماعة انهم سموا صوفية لأنهم فى الصف الأول ، وقالت طائفة انهم سموا كذلك لأنهم يتولون أهل الصفة ، وقال آخرون ان هذا الاسم مشتق من الصفاء . ولكن هذا الاسم — على مقتضى اللغة — بعيد عن هذه المعانى(٣) .

والصفاء فى الجملة محمود ، وضده الكدر . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها(٤) » .

واسم لطائف الأشياء : صفوها ، واسم أوضارها : كدرها ، فلما هذب أهل هذا الأمر أخلاقهم ومعاملاتهم ، وتبرأوا من آفات الطبيعة ، فانهم سموا صوفية ، وهو اسم لهذه الطائفة من اسماء الأعلام ، لأن خطر أهله أجل من أن يمكن اخفاء معاملتهم حتى يلزم لاسمهم اشتقاق .

وقد حجب الله عز وجل — فى عصرنا هذا — أكثر الخلق عن هذه الطريقة وأهلها ، وأخفى لطائفها عن قلوبهم ، حتى ليظن جماعة أن هذه الرياضة

---

(١) سورة « الفرقان » آية ٦٣ .

(٢) لم أجد له سندا .

(٣) يقول الكلاباذى ان معانى هذه الاسماء كلها فى أسامى القوم ، وان كانت الالفاظ متغيرة ، لأنها ان أخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية ، وان اضيفت الى الصف والصفة ، كانت صفية وصفية . ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء فى لفظ الصفية والصفية من تناول الالسن . وان جعل مأخذه من الصوف : استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة (التعرف : أنظر ص ٢٤ ، ٢٥) .

(٤) ورد فى الرسالة عن أبى جحيفة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال : « ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم » (الرسالة : أنظر ج ٢ ص ٥٥٠) .

هى مجرد صلاح الظاهر دون مشاهدة الباطن ، وتظن جماعة أخرى أن هذا الأمر حيلة ورسم بلا حقيقـــة وأصل ، الى حد أنهم ارتكبـــوا المنـــكر امام أهل الهزل وعلماء الظاهر ، وفرحوا باخفـــاء الأمر ، حتى قلدهم العوام ومحوا عن قلوبهم طلب صفاء الباطن ، ووضعوا مذهب السلف والصحابة على الرف .

(شـــعر عربى)

ان الصفاء صفة الصـــديق ان أردت صوفيا على التحقيق

لأن الصفاء أصلا وفرعا ، وأصله : انقطاع القلب عن الأغيار ، وفرعه : خلو اليد من الدنيا الغادرة . وهاتان صفتا الصديق الأكبر أبى بكر عبد الله ابن أبى قحافة رضى الله عنه ، لأنه كان امام أهل هذه الطريقة ، فكان من انقطاع قلبه عن الأغيار ، أن كل الصحابة انكسرت قلوبهم برحلة النبى عليه السلام الى الحضرة الأعلى والمكان المصفى ، وسل عمر رضى الله عنه سيفه قائلا : كل من يقول ان محمدا قد مات أقطع رأســـه . فخرج الصديق الأكبر وصاح قائلا : ألا من عبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن عبد رب محمد فانه حى لا يموت ، ثم قرأ قول الله تعالى : « وما محمد الا رســـول قد خلت من قبله الرســـل أفان مات أو قتـــل انقلبتم على أعقابكم »(١) .

ذلك أن من يتعلق بفان يفنى ويصير كل تعبه هباء ، ومن يطلق روحه الى حضرة الباقى فانه حين تفنى النفس ، يبقى قائما بالبقاء .

فمن نظر الى محمد بعين الآدمية ، فانه حين رحل محمد عن الدنيا ، ذهب من قلبه تعظيم العبودية ورحل معه ، ومن نظر اليـــه بعين الحقيقة استوى لديه ذهابه ووجوده ؛ لأنه فى حال البقاء رأى بقاءه بالحق ، وفى حال الفناء رأى فناءه بالحق ـــ فأعرض عن المحوّل وأقبل على المحول ـــ فعظمه بمقدار اكرام الحق له ، ولم يربط سويداء قلبه بأحد ، ولم يفتح سواد عينه على الخلق ، فقد قيل : « من نظر الى الخلق هلك ، ومن رجع الى الحق ملك » ، لأن النظر الى الخلق علامة الهلك ، والرجوع الى الحق علامة الملك .

أما خلو يده من الدنيا الغدارة ، فهو أنه أعطى كل ما كان يملك من مال ومنال ومآل ، وارتدى الكليم ، وجاء الى النبى عليه السلام فقال له النبى

---

(١) سورة « آل عمران » آية ١٤٤

عليه السلام : « ما خلفت لعيالك ؟ فقال الله ورسوله(١) » فلما تحرر قلبه من التعلق بصفو الدنيا ، أخلى يده من كدرها .

وهذا كله صفة الصوفى الصادق ، وانكار هذا كله انكار للحق ، ومكابرة فى العيان .

وقد قلت ان الصفاء ضد الكدر ، والكدر من صفات البشر . والصوفى حقا من اجتاز الكدر ، كما حدث فى حال الاستغراق فى مشاهدة يوسف عليه السلام ولطف جماله ، فغلبت البشرية على نساء مصر ، وارتدت الغلبة الى العكس ، فلما وصلت غايتها بلغت نهايتها ، ولما بلغت نهايتها تجاوزتها ، ونظرن بفناء بشريتهن فقلن : « ما هذا بشر »(٢) فأشرن اليه ، وعبرن عن حالهن . وكان من ذلك أن قال مشايخ هذه الطريقة رحمهم الله : « ليس الصفاء من صفات البشر ، لأن البشر مدر لا يخلو من كدر » .

فمثال الصفاء لا يكون بالأفعـــال ، وزوال البشرية لا يكون عن طريق المجاهدة ، ولا نسبة لصفة الصفاء بالأفعال والأحوال ، ولا تعلق لاسمه بالأسماء والألقاب « فالصفاء صفة الأحباب ، وهم شموس بلا سحاب » ، وكل من يفنى عن صفته ويبقى بصفة الحبيب ، فهو الحبيب . وأحوالهم لدى أرباب المعانى عيان كالشمس ، كما سئل حبيب الله محمد المصطفى صلوات الله عليه عن حال حارثة(٣) ، فقـــال : « عبـــد نور الله قلبه بالايمان(٤) » .

كما قيل : « ضياء الشمس والقمر اذا اشتركا ، انموذج من صفاء الحب والتوحيد اذا اشتبكا » .

وأى شأن لنور القمر والشمس حيثما يكون نور محبة الجبار وتوحيده حتى يضاف هذا الى ذاك ... ؟ . أما فى الدنيا ، فليس هنالك اظهر من هذين ، لأن العين ترى السماء بنور الشمس والقمر ، والقلب يرى العرش بنور التوحيد والمحبة ، ويطلع على العقبى فى الدنيا .

وكل مشايخ الطريقة — رحمهم الله — مجمعون على أنه حين يتخلص العبد من قيد المقامات ، ويخلو من كدر الأحوال ، وينفصل عن جميع الأوصاف

---

(١) رواه الترمذى عن عمر : « ما تركت لأهلك يا أبا بكر » وقال عنه : حسن وصحيح .
(٢) سورة « يوسف » آية ٣١
(٣) « حارثة بن سراقة » : أحد شهداء بدر من الأنصار . (الســـيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٠) .
(٤) رواه الحارث بن مالك : « من أراد أن ينظر الى عبد نور الله تعالى الايمان فى قلبه فلينظر الى حارثة » .